

أعزائي المستمعين الكرام موضوع حلقتنا اليوم من برنامجنا حكم وأمثال من الكتاب المقدس هو الزواج في المسيحية.

الزواج أو البيت هو أهم مؤسسة على الأرض. فهو نواة المجتمع وعليه تقوم الدولة. ومعنى هذا أنه كما يكون البيت هكذا يكون المجتمع، فالمجتمع الصالح هو برهان البيت الفاسد والمفكك.

الكثيرون أخذوا مفاهيمهم عن الزواج والعائلة من مصادر مغلوطة ومبادئ وفلسفات ملتوية. فقد أخذها بعضهم من الأفلام السينمائية وبعضهم الآخر من التلفزيون، وبعضهم الآخر أيضاً من المجلات والكتب والمطبوعات الرخيصة اللاأخلاقية!

الزواج عزيزي المستمع هو بين رجل واحد وأمرأة واحدة، لا بين رجل واحد وعدة نساء ولا بين رجل وآخر أو بين إمرأة وأخرى. فهذه البسائل هي شر فظيع في عيني الله لأنها خروج على قاعدته. فالله خلق في البدء رجلاً واحداً اسمه آدم، ومن آدم صنعت إمرأة واحدة إسمها حواء ولهذا تقول كلمة الله كما أوردنا قبل قليل «يَتُرْكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِإِمْرَأَتِهِ» (تكوين 2: 24) لا بصاحبته ولا بزوجة جاره أو زميلته في العمل بل بإمرأته. ومن يخالف هذا الترتيب يخالف ترتيب الله، ويعرض نفسه لدينونة الله غضبة. «وَأَمَّا الْعَاهِرُونَ وَالْزُّنَادُ فَسَيَدِينُهُمُ اللَّهُ» (عبرانيين 13: 4).

وما لم يكن الزوج والزوجة قابلين لوجود الله في حياتهما اليومية فإن نعمة الزواج ستبقى موهبة غير مستغلة، وستبقى غير ذيفائدة مثلها مثل حقول البترول الغير مستغلة ومن ناحية أخرى فإن القوة الكامنة في هذه النعمة هي كبيرة، توازي القوة الكامنة في الأرباح التي تجنيها من هذه الحقول. فالزوج والزوجة اللذان يتعاونان مع رب في الزواج سيجدان أن نعمته تكفي لمواجهة التجارب والمحن التي قد يصادفانها. وبهذه الطريقة يستطيع الزوجان أن يجسدا مهمة الزوج وان ينمو حقاً بالقداسة وسبل الكمال المسيحي. فيجدان الله ويظهران عظمته لكافة البشر وبعد حياتهما على الأرض يكونان مستعدين لدخول فرح الملائكة السماوي.

الزوج وزوجته «جسد واحد»، فكل ما يفعله لزوجته سيعود إليه في صورة بركة «مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ» (أفسس 5: 28). فالحب الذي يمنحه الزوج لزوجته سيرجع إليه عن طريقها. وإذا إدعى إنسان أنه لا يحصل بركات روحية عن طريق زوجته فما هذا إلا لأنه لم يزرع لها شيئاً، وعلى مثل هذا أن يفحص نفسه، لأن «الَّذِي يَزْرِعُهُ الْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا» (غلاطية 6: 7).

للزوج وللزوجة أعطى الله البنين. فقد بارك الله البشر «وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَأَكْثِرُوا وَأَمْلِأُوا الْأَرْضَ» (تكوين 1: 28). وتكرر هذا الأمر أكثر من مرة. ولقد قصد الله أن يكون الأولاد بركة للبيت، لا عبئاً عليه، أو نيراً ليحمله. ليست الأبوة أو الأمومة إشتشهاداً، «فَالْبَنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، طُوبَى لِلَّذِي مَلَأَ جَعْبَتَهُ مِنْهُمْ» (مزמור 127: 3 و5).

يقضي الكثيرون من الوالدين شهوراً وسنوات للتدقيق في اختيار ما يلزم لتأثيث منزل جميل، دون أن يقضوا أي وقت لجعل ذلك المنزل بيتاً. نهم يحرصون على أن يكون لون غطاء الكراسي منسجماً مع لون السجاجيد، وألا يتناقض هذا مع لون الأثاث. ووسط كل هذه الجهد التي تبذل في اختيار أثاث البيت فإنه لا يبذل أي جهد لإختيار الألفاظ التي تعبر عن المحبة والعطاف واللطف.

إنهم يحرصون على أن يكون كل شيء في موضعه، فهناك موضع لكل شيء، لكن لا موضع لله. وبعد بضع سنوات من بناء المنزل نقف في وسطه ونجد أن محاولة ربط الأطراف المتنافرة في الأسرة قد فشلت. لقد بنينا منزلاً وأثناه، لكننا فشلنا في بناء أسرة.

رغم وجود عشرات الآلاف من الكتب والنصائح عن «سر البيت السعيد» فإننا نعتقد بأن أفضل نصيحة هي التي دونت منذ مئات السنين على صفحات الكتاب المقدس: «إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ، فَبَاطِلًا يَتَعَبُ الْبَنَاؤُونَ» (مزמור 127:1). إذًا فهنا نجد السر، وهو أن البيت يجب أن يبنيه الله. إن الكتاب المقدس هو كتاب العائلات، وقد كتب عن العائلات من أجل العائلات. فيه يحقق الله كل إعزاز البيت (الأسرة) – بيتك أنت بالذات. فيه نجد الحل الذي يقدمه الله لكل مشاكل الأسرة – أسرتك أنت بالذات.

لن يوجد كتاب أكثر سلطة ونفوذاً يقدر أن يشخص أعراض مرض البيت المريض، ويصف له الدواء المناسب، أفضل من كتاب الله.

لن توجد هيئة يمكنها أن تساعدك لجعل بيتك أقدس مكان على الأرض أفضل من كنيسة يسوع المسيح.

نعم أيها الآباء والأمهات، إن المكان الذي تعيشون فيه أنتم وعائلتكم، يمكن أن يكون أفضل من منزل. إنه يمكن أن يكون بيتك، والأفضل من هذا أن يكون بيتك مسيحياً، بيتك يكرم فيه الله، يتشرف بحلول رب يسوع فيه، وتحل فيه البركات التي لا يمكن أن يمنحها غيره. يمكن أن يكون بيتك يُقرأ فيه الكتاب المقدس، وتُرفع فيه الصلوات العائلية، بيتك يحل فيه السلام والوئام، بيتك يعيش فيه الوالدون لبنيهم، والبنون لوالديهم، والكل لله.